

مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

البلاط الملكي. وفي فترة توليه منصب سفير إلى حاضرة الخليفة العباسي، المتوكل، في بغداد سنة ٨٥٥ م، وضع ما يُعرف بالميريويبيبلوس أو «المكتبة»، وهو مؤلف ضمنه فوتيوس خلاصات مئتين وثمانين من أعمال القدامى مع تعليقات عليها، وقد فعل ذلك بالإعتماد على ذاكرته فقط.

أدت الخلافات بين الإمبراطورة ثيودورة وشقيقها برداس إلى استيلاء هذا الأخير على زمام الأمور في

الإمبراطورية واستلم الوصاية على ابنها الإمبراطور ميخائيل الذي كان ما زال قاصراً. وأجبر برداس أخته وبناتها على الانخراط في الرهبنة. إلا أن البطريرك

القسطنطيني أنذاك، إغناطيوس، رفض أن يبارك ثوبه من الرهباني وذلك تعبيراً منه عن عدم رضاه وعدم انصياعه لتدبير برداس. فتأزمت الأوضاع بين الكنيسة والدولة ما اضطر البطريرك إغناطيوس للإستقالة. وبعد عدم تمكن أساقفة القسطنطينية، وبينهم الموالين للبطريرك إغناطيوس، من اختيار خليفة له، استقر الرأي على اختيار رجل من العامة، هو فوتيوس، ورفعوا توصيتهم إلى الإمبراطور الذي وافق على الاختيار.

حاول القديس فوتيوس التملص بكل الطرق الممكنة من هذا الخيار، إلا أنه

القديس فوتيوس المعترف

تُعبد كنيسةنا المقدسة في السادس من شهر شباط للقديس فوتيوس المعترف بطريرك القسطنطينية. وتطلق الكنيسة عليه لقب «المعترف» لما قاساه في دفاعه عن الإيمان القويم وخاصة في ما يتعلق بالإيمان بالروح القدس وإكرام الأيقونات المقدسة.

وُلد القديس فوتيوس سنة ٨٢٠ م. ونشأ في عائلة ملوها القداسة وهمها الدفاع عن الإيمان القويم. فقد أعلنت الكنيسة والسيدة

العدد ٦/٢٠٠٥
الأحد ٦ شباط

تذكار أبينا البار بوكولوس أسقف
إزمير وأبينا الجليل في القديسين
فوتيوس المعترف بطريرك
القسطنطينية والقديس الشهيد
الطبيب
إيليان الحمصي

اللحن الثالث
إنجيل السحر الثالث

قديسين معترفين أيضاً إذ قد نفاهما الإمبراطور ثيوفيلوس (٨٢٩-٨٤٢ م) بسبب دفاعهما عن إكرام الأيقونات. كما أن عمه البطريرك القديس تراسيوس (٨٠٦+) قد حرم من أحد المجامع المعادية للأيقونات. لقد كان الدفاع عن الإيمان القويم إرثاً عائلياً درج عليه القديس فوتيوس طيلة حياته.

تسنى للقديس فوتيوس أن يحصل ثقافة واسعة في مختلف ميادين العلوم الكنسية منها والديوية. ومع أنه مال في شبابه إلى الحياة الرهبانية إلا أنه التزم التعليم. وقد تبوأ فيما بعد عدة مناصب في

الرسالة

(٢ كورنثوس ١:٦-١٠)

يا إخوة بما أنا معاونون نطلب إليكم أن لا تقبلوا نعمة الله في الباطل* لأنه يقول إنني في وقت مقبول استجبت لك وفي يوم خلاص أعنتك. فهوذا الآن وقت مقبول. هوذا الآن يوم خلاص* ولسنا نأتي بمعثرة في شيء لئلا يلحق الخدمة عيب* بل نظهر في كل شيء أنفسنا كخدام الله في صبر كثير في شتات في ضرورات في ضيقات* في جلدات في سجون في اضطرابات في أعاب في أسهار في اصوام* في طهارة في معرفة في طول أناة في رفق في الروح القدس في محبة بلا رياء* في كلمة الحق في قوة الله بأسلحة البر عن اليمين وعن اليسار* بمجد وهوان. بسوء صيت وحسنه* كأننا مخلصون ونحن صادقون. كأننا مجهولون ونحن معروفون كأننا ماتون وما نحن أحياء. كأننا مؤدبون ولا نُقتل* كأننا حزان ونحن

دائماً فرحون. كأننا فقراء ونحن نغني كثيرين. كأننا لا شيء لنا ونحن نملك كل شيء.

الإنجيل

(متى ٢٥: ١٤-٣٠)

قال الربُّ هذا المثل. إنسانٌ مسافرٌ دعا عبدهً وسلمَ إليهم أمواله* فأعطى واحداً خمسَ وِزَنَاتٍ وآخرَ وِزَنَتَيْنِ وآخرَ وِزَنَةً كُلَّ واحدٍ على قَدْرِ طاقتهِ وسافرَ للوقتِ* فذهبَ الذي أخذَ الخمسَ الوِزَنَاتِ وتاجرَ بها وربحَ خمسَ وِزَنَاتٍ أُخرى* وهكذا الذي أخذَ الوِزَنَتَيْنِ ربحَ وِزَنَتَيْنِ أُخرَيَيْنِ* وأمَّا الذي أخذَ الوِزَنَةَ الواحدةَ فذهبَ وحفرَ في الأرضِ وطمرَ فضةً سيده* وبعدَ زمانٍ كثيرٍ قدِمَ سيّدٌ أولئك العبيدِ وحاسبهم* فدنا الذي أخذَ الخمسَ الوِزَنَاتِ وأدّى خمسَ وِزَنَاتٍ أُخرَ قائلًا يا سيّدُ خمسَ وِزَنَاتٍ سلّمتَ إليّ وها خمسَ وِزَنَاتٍ أُخرَ ربحتها فوقها* فقال له سيّدُه نِعِمًّا أيُّها العبدُ الصالحُ الأمينُ. قد وُجِدَتَ أميناً في القليلِ فسأقيمك على الكثير. أدخلْ إلى فرحِ ربِّك* ودنا الذي أخذَ الوِزَنَتَيْنِ وقال يا سيّدُ وِزَنَتَيْنِ سلّمتَ إليّ وها وِزَنَتَانِ أُخرَيَانِ ربحتهما

لم يفلح. وبسبب اقتراب عيد ميلاد ربنا يسوع المسيح جرى ترفيه فوتيوس في سلم الرتب الكهنوتية في خلال أسبوع. وهكذا جرى تنصيبه بطريكاً في ٢٥ كانون الأول سنة ٨٥٨م.

ظل بعض المتطرفين من الموالين للبطريك اغناطيوس يثيرون المشاكل بوجه فوتيوس وظلوا متمسكين بإغناطيوس بطريكاً شرعياً، وواحدة من حجج هذه الجماعة كانت عدم جواز ترفيه فوتيوس إلى الدرجة البطريركية بالسرعة التي تم فيها. وحدثت مواجهات عنيفة مع المتطرفين اضطر العسكر إلى التدخل في إحدى المرات لقمعهم، ودفع بأحد المجامع إلى إعلان بطلان بطريركية إغناطيوس من أساسها. وحاولت روما التدخل في شؤون بطريركية القسطنطينية واستفادت من دعوتها إلى عقد مجمع مسكوني للدفاع عن الأيقونات لطرح موضوع إعادة التحقيقات في ما يتعلق بالبطريك اغناطيوس وترفيه فوتيوس العامي إلى درجة البطريركية.

على صعيد آخر، وجّه فوتيوس طرفه ناحية الشعوب السلافية راغباً في تبشيرها. وقد وقع اختياره، لهذه الغاية، على أحد أصدقائه قسطنطين الذي كان عالماً فذاً، وقد عرف فيما بعد باسم القديس كيرلس. وكذلك استدعى فوتيوس شقيق قسطنطين، وهو ناسك في جبل الأولمبوس، وكان يدعى مثنوديوس. هذان شرعا بمهمة رسولية لدى الخازار في روسيا الجنوبية، ثم انتقلا إلى مورافيا بناء لطلب أميرها. تعلم كيرلس ومثنوديوس لغة تلك الشعوب ووضعوا لها أبجدية ونقلوا الكتاب المقدس والخدم الكنسية والطقوس إلى لغة تلك الشعوب.

جرت بعد حين معمودية بوريس أمير بلغاريا. هذا عمده فوتيوس وسمّاه في المعمودية ميخائيل على اسم عرابه الإمبراطور ميخائيل. هنا

أيضاً اغتنمت روما الخلاف الذي وقع بين بلغاريا والقسطنطينية بسبب طلب البلغار أن يكون لبلغاريا بطريركها الخاص، فبعث البابا نيقولاوس مرسلين لاتين أخذوا يثبون بين البلغار اللاهوت الغربي والعبادات اللاتينية. تصدى القديس فوتيوس لهذه الهجمة اللاتينية، وما لبث أن بعث برسالة إلى أساقفة الشرق بين فيها ضلالات اللاتين، لا سيما لجهة مسألة انبثاق الروح القدس. ثم دعا إلى مجمع كبير في القسطنطينية، عام ٨٦٧، أكد الإيمان القويم وجرم البابا ومرسله إلى بلغاريا. إلا أن البابا نيقولاوس رقد قبل أن تصله قرارات المجمع.

انقلبت الأمور رأساً على عقب بعد أن استولى باسيليووس الأول على العرش الإمبراطوري. فقد عمد الإمبراطور إلى إقالة فوتيوس وإعادة إغناطيوس إلى سدة البطريركية لكي يكسب ود المحافظين. ودعا البابا أدريانوس الثاني إلى مجمع انعقد في القسطنطينية سنة ٨٦٩م. جرت خلاله إدانة فوتيوس وأوقف أمام المجمع ليُجيب عن التهم الموجهة إليه فلزم الصمت مكتفياً بالقول: «الله يسمع صوت الصامت... تبريري ليس من هذا العالم». وبقي فوتيوس في الإقامة الجبرية مدة ثلاث سنوات مقطوعاً عن أصحابه ومحروماً من كتبه.

وعى البطريرك إغناطيوس خطورة تدخل روما في شؤون البطريركية واحتضن بوريس البلغاري بعدما ارتد عن روما إلى القسطنطينية. وأقنع الأساقفة الإمبراطور باسيليووس، توحيداً للكنيسة، بإبطال مجمع ٨٦٩ وإطلاق سراح فوتيوس. فعمد الإمبراطور إلى استعادة فوتيوس بإكرام بالغ وسمّاه مربياً لأولاده. واصطلحت الأمور بين إغناطيوس وفوتيوس. وعندما رقد إغناطيوس عاد فوتيوس إلى السدة البطريركية بموافقة الجميع. كما اصطلحت الأمور أيضاً بين

فوقهما* فقال له سيده نِعِمَّا أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ الْأَمِينُ. قد وُجِدْتُ أَمِينًا فِي الْقَلِيلِ فَسَأَقِيمُكَ عَلَى الْكَثِيرِ. أُدْخِلُ إِلَى فَرْحِ رَبِّكَ* ودنا الذي أَخَذَ الْوِزْنَ وَقَالَ يَا سَيِّدُ عَلِمْتُ أَنَّكَ إِنْسَانٌ قَاسٌ تَحْصِدُ مِنْ حَيْثُ لَمْ تَزْرَعْ وَتَجْمَعُ مِنْ حَيْثُ لَمْ تَبْذُرْ* فَخِفْتُ وَزَهَبْتُ وَطَمَرْتُ وَزَنْتُكَ فِي الْأَرْضِ. فَهَذَا مَالُكَ عِنْدَكَ. فَأَجَابَ سَيِّدُهُ وَقَالَ لَهُ أَيُّهَا الْعَبْدُ الشَّرِيرُ الْكَسْلَانُ. قد عَلِمْتَ أَنِّي أَحْصَيْتُ مِنْ حَيْثُ لَمْ أَزْرَعْ وَأَجْمَعُ مِنْ حَيْثُ لَمْ أَبْذُرْ* فَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَسَلَّمَ فَضَيْتِي إِلَى الصَّيَارِفَةِ حَتَّى إِذَا قَدِمْتَ أَخَذَ مَالِي مَعَ رَبِّي* فَخَذُوا مِنْهُ الْوِزْنَ وَأَعْطَوْهَا لِلَّذِي مَعَهُ الْعَشْرُ الْوِزْنَاتُ* لِأَنَّ كُلَّ مَنْ لَهُ يُعْطَى فَيَزَادُ وَمَنْ لَيْسَ لَهُ فَالَّذِي لَهُ يُؤْخَذُ مِنْهُ* وَالْعَبْدُ الْبَطَالُ الْقَوِيُّ فِي الظُّلْمَةِ الْبِرَّانِيَّةِ. هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيْفُ الْأَسْنَانِ* وَلَمَّا قَالَ هَذَا نَادَى مَنْ لَهُ أُذُنَانِ لِلْسَّمْعِ فَلْيَسْمَعْ.

تأمل

يقول الرسول لأهل كورنثوس في رسالة اليوم إن المصالحة مع الله والإيمان به لا يكفيان بل عليهم أن ينتبهوا أيضاً إلى سلوك حياتهم. لأن

القسطنطينية وروما وعقد مجمع في القسطنطينية سنة ٨٧٩-٨٨٠ عرف بمجمع الوحدة رأب الصدع بينهما وأعاد الاعتبار لفوتيوس وأكد الإيمان الأرثوذكسي وكفر الزيادة على دستور الإيمان لجهة انبثاق الروح القدس. واعتُبر مجمع ٨٦٩ لاغياً.

إلا أن الأمور عادت وساءت في القسطنطينية بعد تسلّم لاون السادس ابن باسيلوس، زمام الحكم بسبب عدائه لأحد الأساقفة أتباع فوتيوس. أقال الإمبراطور لاون البيطريك فوتيوس وحجزه كفاعل سوء في دير الأرمن وجعل أخاه استفانوس بطريكاً محله. بقي فوتيوس في الإقامة الجبرية مدة خمس سنوات محروماً من كل عزاء بشري. في هذه الفترة من حياته كتب «مستأجوجية الروح القدس» الذي دحض فيه مسألة انبثاق الروح القدس من الأب والإبن. ووقد في الرب في ٦ شباط ٨٩١، وقد جرت بجسده عجائب جمّة.

حمل الله

« وفي الغدِ نَظَرَ يُوْحَنَّا يَسُوعَ مُقْبِلًا إِلَيْهِ فَقَالَ هُوَذَا حَمَلُ اللَّهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيئَةَ الْعَالَمِ » (يو ١: ٢٩).

ترتبط صورة الحمل لدى البشر بصورة الطهر والبراءة والاستقامة والتواضع وعدم مقاومة الشر. وترد عبارة الحمل أو الخروف أكثر من مئتي مرة في الكتاب المقدس، وكثيراً ما تطلق على الرب يسوع، فيسمى الخروف، «حمل الله»، «الحمل الفصحي» أو «الحمل المذبوح». هذه التسميات مرتبطة بالمفاهيم التي حملتها كلمة الحمل في العهد القديم الراسخة في أذهان المؤمنين بيسوع.

يحمل الحمل صورة التواضع والاستقامة والبراءة والخضوع لمشية الرب وتحمل الإضطهاد والشدائد. لذا فإن الله كراع يجمع خرافه بين ذراعيه لأنه لا معين لها

سواه. عندما ضرب الرب الشعب العبراني بعدما قام داود بإحصاء الشعب قال داود للرب «ها أنا أخطأت وأنا أذنبت وأما هؤلاء الخراف فماذا فعلوا» (٢ صموئيل ٢٤: ١٧). في العهد القديم لما اضطهد الأعداء النبي إرميا شبه نفسه بالحمل الذي يساق إلى الذبيح: «وأنا كخروفٍ داخِلٍ يساق إلى الذبيح ولم أعلم أنهم فكروا علي أفكاراً قاتلتين لنهلك الشجرة بثمرها ونقطعهُ مِنْ أَرْضِ الْأَحْيَاءِ فَلَا يَذْكَرُ بَعْدَ اسْمِهِ» (١٩: ١١). إنها الصورة نفسها التي طبقت على عبد الرب المتألم الذي كان مزمعا أن يموت ليكفر عن خطايا شعبه: «هوذا عبدي يعقل... والرب وضع عليه إثم جميعنا. ظلم أماً هو فتدلل ولم يفتح فاه كشاة تساق إلى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازيها فلم يفتح فاه» (إشعيا ٥٢: ٥٣: ٦-٧).

يرد ذكر الحمل أو الخروف أكثر من ثمانين مرة في أسفار الخروج واللاويين وتثنية الإشتراع والعدد، وذلك عند الحديث عن الذبائح التي تقدم كفارة عن خطايا البشر ولتطهيرهم. من هنا ارتباط صورة الحمل بالفداء. في سفر التكوين عندما «امتحن الله إبراهيم» سألته أن يضحى بابنه إسحق، أخذ إبراهيم ابنه إلى الجبل ولم يأخذا معهما محرقة، «وكلم إسحق إبراهيم أباه وقال هوذا النار والحطب ولكن أين الخروف للمحرقة. فقال إبراهيم لله يرى له الخروف للمحرقة يا ابني» (٧: ٢٢-٨). ولما هم إبراهيم بوضع إسحق على المحرقة أوقفه ملاك الرب وأراه كبشاً «ممسكاً في الغابة يقربنيه. فذهب إبراهيم وأخذ الكبش وأصعد محرقة عوضاً عن ابنه» (١٣: ٢٢). التقليد الكنسي رأى في الكبش إعلاناً عن تضحية يسوع عن الشعب الحامل على ظهره خطاياها الكثيرة وأتعبه كما حمل إسحق حطب محرقة على ظهره.

نجد ذكر الحمل أيضاً في سفر الخروج حيث يفتدى العبرانيون بدمه من عبودية فرعون المصري (١٠: ١٢-١٠: ١٢)

العودة إلى الخطيئة بعد المصالحة هي عودة إلى العداوة والإبتعاد عن إحسان الله. لأنه إن كانت حياتنا غير طاهرة لا ننتفع شيئاً من نعمة الله من أجل خلاصنا. على العكس نتأذى بازدياد من جراء خطايانا لأننا بعد كل هذا الإحسان من قبل الله نعود إلى الشرور القديمة.

هذا طبعاً لا يقوله هنا صراحة لكنه يكتفي بالقول إنه علينا أن لا نجعل نعمة الله باطلاً أي أن لا نستفيد منها شيئاً، ويذكرهم بنبوءة من أجل حثهم على الإهتمام بخلاصهم. يقول: «في وقت مقبول سمعتك وفي يوم خلاص أعنتك. هوذا الآن وقت مقبول. هوذا الآن يوم خلاص». «وقت مقبول» أي وقت هذا؟

هو فرصة العطية، فرصة الإحسان حين لا نحاسب على خطايانا. هي فرصة لا أن نتحرر فقط من خطايانا بل وأيضاً أن ننعم بخيرات لا تحد. بالبر والقداسة وما إليها. وهو الآن جاء بدون أن نتعب وسامحنا على كل ما سبق لذلك يصف الرسول هذه الفرصة بوقت مقبول لأن الله قد قبل في هذا الوقت الخطأة كلهم وهو مسرور. لم يقبلهم فقط بل وأعطاهم كرامة أكبر. كما يفعل الملك إن لم يحن بعد وقت الحساب يحسن ويعطي. هذا هو أوان حياتنا الحاضرة طالما نحن بعد نعمل في كرامة الرب وقبل مجيء الساعة الأخيرة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

١٢). هناك كلم الرب موسى وقال له أن يستعد الشعب للخروج من أرض مصر، وعلى كل عائلة أن تذبح حملاً صحيحاً «نذركم ابن سنة» ويأخذون من الدم «ويجعلونه على القائمتين والعتبة العليا في البيوت... ويكون لكم الدم علامة على البيوت التي أنتم فيها. فأرى الدم وأعبر عنكم، فلا يكون عليكم ضربة للهلاك حين أضرب أرض مصر» (خروج ١٢: ١٣). بعد ذلك يأكلون لحمه «تلك الليلة مشوياً بالنار» فيكون الحمل «فصاً للرب» (خروج ١٢: ١١). كما نقرأ في سفر اللاويين عن الذبائح والمحرقات التي كانت تقدم فيها الكبش إضافة إلى غيرها من التقدمة (لاويين ١-٧).

كمال هذه الذبائح وتحقيقها تم في الرب يسوع الذي قدم ذاته من أجل خلاص كل واحد منا. إنه «حمل الله الذي يرفع خطيئة العالم» (يو ١: ٢٩). هو الحمل البريء من العيب، المستقيم، المتواضع، المتكل بالكلية على الله، الطاهر، والذي لا يقاوم الشر. هو الحمل الفصح الحقيقي: «عالمين أنكم افتديتم بأشياء تفنى بفضة أو ذهب من سيرتكم الباطلة التي تقلدتموها من الآباء، بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم» (١ بط ١: ١٨-٢٠)، «لأن فصحننا أيضاً المسيح قد ذبح لأجلنا» (١ كور ٥: ٧).

منذ نشأتها رأت الكنيسة في الرب يسوع حمل الفصح الحقيقي. الرسول بولس أسماه الحمل الفصحى، والرسول يوحنا يورد الترتيب الزمني لموت يسوع على الصليب على أساس ذبيحة الفصح في العهد القديم. فقد أسلم يسوع للموت «وكان استعداد الفصح» (يو ١٩: ١٤)، وهو اليوم الذي يذبح فيه اليهود الحمل الفصحى الذي تفرضه الشريعة، وبقي تحت الحفظ من اليوم العاشر من شهر نيسان إلى اليوم الرابع عشر (خروج ١٢: ٦)، من يوم الذبح إلى العبور، الفصح، أي من يوم التسليم

إلى القيامة، الفصح. «فأتى العسكر وكسروا ساقي الأول والأخير المصلوب معه. وأما يسوع فليماً جاءوا إليه لم يكسروا ساقيه لأنهم رأوه قد مات... لأن هذا كان ليتم الكتاب القائل عظم لا يكسر منه» (يو ١٩: ٣٢-٣٣، ٣٦). إذا عديم كسر ساقي يسوع جاء مطابقاً لشريعة تحضير العمل الفصحى: «وعظماً لا تكسروا منه» (خر ١٢: ٤٦).

يتوج سفر الرؤيا ارتباط صورة الحمل ويسوع فيورد فيه الإنجيلي يوحنا عبارة الحمل أو الخروف ثمان وعشرين مرة. إضافة إلى عبارة «الحمل الفصحى» يورد يوحنا عبارة الحمل المذبوح أو الخروف المذبوح القائم من بين الأموات (٦: ٥). إنه المسيح المصلوب الذبيح والقائم من بين الأموات، وهو يشارك الله في عرشه (٣: ٢٢-١). وله تسجد كل الحيوانات والأربعة والعشرون شيخاً (٨: ٥)، وكل الخليقة في السماء وعلى الأرض وتحت الأرض تقبول «للخروف البركة والكرامة والمجد والسلطان إلى أبد الأبد» (١٣: ٥). وفي آخر سفر الرؤيا يصف يوحنا عرس الخروف (٧: ١٩) مع عروسه أورشليم السماوية أي الكنيسة (٧: ٢١) وينتهي: «ولم أر فيها هيكل لأن الرب الله القادر على كل شيء هو والخروف هيكلها. والمدينة لا تحتاج إلى الشمس ولا إلى القمر ليضيئاً فيها لأن مجد الله قد أثارها والخروف سراجها. وتمشي شعوب المخلصين بنورها وملوك الأرض يجيئون بمجدهم وكرامتهم إليها. وأبوابها لن تغلق نهاراً لأن ليلاً لا يكون هناك... ولن يدخلها شيء دنس ولا ما يصنع رجساً وكذباً إلا المكتوبين في سفر حياة الخروف» (٢١: ٢٢-٢٧).

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعياً على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb